

• تتمة المحاضرتين الأولى والثانية

تعريف الصلح:

الصلح لغةً: مصدر صالح يصلح صلحاً، ويشترك منه - أيضاً -: أصلح يصلح إصلاحاً، والصلاح - بفتح الصاد - ضد الفساد، وبكسرهما المصالحة، والاسم الصلح يذكر ويؤنث، يقال: اصطلحنا، وصالحنا، واصتالحا - مشدد الصاد - وتصالحا بمعنى واحد، وهو قطع النزاع.

الصلح شرعاً: معاهدة يتوصل بها إلى إصلاح بين متخاصمين.

أنواع الصلح:

قال ابن القيم: ((الصلح نوعان: الأول: الصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالماً بالوقائع، عارفاً بالواجب، قاصداً للعدل، فدرجة هذا المصلح أفضل من درجة الصائم القائم))¹.

والثاني: الصلح الذي يحل الحرام ويحرم الحلال، كالصلح الذي يتضمن تحريم بضع حلال، أو إحلال بضع حرام، أو إرفاق حر، أو نقل نسب أو ولاء عن محل إلى محل، أو أكل ربا، أو إسقاط واجب، أو تعطيل حد، أو ظلم ثالث وما أشبه ذلك، فكل هذا صلح جائر مردود». ويدل على تحريم هذا الصلح جملة من الأدلة، منها:

1 - قوله تعالى: ((فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الحجرات:9])، فقد أمر الله أن يكون الصلح بالعدل لا بالجور، وأمر بالقسط في ذلك، وأخبر عن محبته للمقسطين العادلين في أحكامهم.

2 - روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة، وعمر بن عوف المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالاً أو أحل حراماً، والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً)).

دل هذا الحديث العظيم أن الأصل في الصلح الجواز، إلا إذا تضمن تحريم حلال أو تحليل حرام؛ فإنه لا يجوز ويكون من الصلح المحرم.

¹ يشير الى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام، والصدقة)) قالوا: بلى، قال: ((إصلاح ذات البين...)) الحديث

وما ذكره ابن القيم في النوع الأول - وهو الصلح الجائز المشروع - قد قسمه العلماء إلى خمسة أنواع:

- **النوع الأول:** الصلح بين المسلمين وأهل الحرب، كما في صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين كفار قريش.

- **النوع الثاني:** صلح بين أهل العدل وأهل البغي من المسلمين، ويدل عليه قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا) [الحجرات: 9].

- **النوع الثالث:** صلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما، ويدل عليه قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [النساء: 35].

- **النوع الرابع:** إصلاح بين متخاصمين في غير المال، كإصلاح النبي صلى الله عليه وسلم بين أناس من بني عمرو بن عوف في خصومة كانت بينهم.

- **النوع الخامس:** إصلاح بين متخاصمين في الأموال، كإصلاحه بين المتخاصمين في الدين بأن يضع أحدهما نصفه ويوفيه الآخر حقه.

• المحاضرة الثالثة

الجوانب الإصلاحية في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

1. الجزيرة العربية عشية البعثة النبوية
2. عظمة أصحاب الرسالات
3. النفوذ السياسي والاقتصادي والروحي لقريش مكة
4. الكعبة المشرفة والحجر الأسود وبئر زمزم
5. مكة ومكانتها في جزيرة العرب
6. لغتنا العربية البنت الشرعية للهجة قريش
7. شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة النبوية
8. الإتجاهات الفكرية الدينية في جزيرة العرب

1. الجزيرة العربية عشية البعثة النبوية

لقد ألهمت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من الباحثين في الشرق والغرب، فدرسوا سماتها بفيض من المؤلفات التي صورت حياة محمد صلى الله عليه وسلم وتناولت جوانب عظمته وعبقريته، وصفة البطولة الملحمية في سيرته التي انضوت في ثناياها حياة الأمة، تجسدت كحقيقة تاريخية ناصعة عبر دعوته التي أحدثت انقلاباً في حياة تلك القبائل العربية المتناحرة فعمقتها أمةً رائدةً أخذت بيد أمم وشعوب في معارج الرقي والتقدم، هادياً أيها إلى سبيل النور، ولم تلبث إلا ربحاً قصيراً حتى انقلبت ثورة عالمية معطاءً خيراً وعدالة ومعرفة.

2. عظمة أصحاب الرسالات

لا شك في أن أصحاب الرسالة العظيمة عظماء في ذواتهم، عظماء في سيرتهم، وهم إن ظهرت بمرحلة تاريخية بعينها فقد تركوا بصماتهم ليس في مجتمعاتهم فحسب، بل مدوا ظلهم على التاريخ في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا ما حدا بالمستشرقين المنصفين لدراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وتحليل صفاته الخلقية والخلقية، والاهتمام بدوره القيادي في المجتمع كصاحب رسالة سماوية لم تقتصر على العرب وحدهم، بل كانت رسالة عالمية، صالحة لكل زمان ومكان، كما جاء في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: 28] و{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158].

إن عظمة الرسول البارزة للعيان، تكمن في أنه كان حامل رسالة سماوية توحيدية، شمولية تهدف أساساً إلى إصلاح حياة البشرية عامةً، ونقلها من البربرية والوثنية إلى الحضارة التوحيدية اليقينية. يقول مؤلف "قصة الحضارة" الباحث الأمريكي وول ديوارنت:

((كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً كبيراً، وتوحيدياً كاملاً ولم يكن له نظير، جاء لإصلاح البشر))².

ومنذ نعومة أظافره صلى الله عليه وسلم تبدت فيه علامات النباهة والنبوغ، وظلت مرافقةً إياه في سائر أطوار حياته، ولذا شدت المستشرقين لدراستها، كما سبق أن استوقفت كتاب السيرة النبوية المسلمين الذين بحثوا بالتفصيل علائم النبوة ودلالاتها في حياته - عليه السلام - بدءاً من مولده حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، بل ذهب الكثير منهم إلى بحث علامات نبوته، فيما كان يتردد حوله القول بأن أمة العرب سيكون لها نبيها المرتقب، وسيخرج من مكة، وأنه سيكون من قبيلة قريش، وعلى وجه التحديد من أسرة بني هاشم.

² وول ديوارنت : نقلا عن الإسلام مبدأ وعقيدة ص 48.

3. النفوذ السياسي والاقتصادي والروحي لقريش مكة

كانت قبيلة قريش التي ينتسب إليها الرسول الكريم، تتميز بين القبائل العربية بنفوذها السياسي والاقتصادي والروحي، فقد توحدت بعد تفرق، وسكنت مكة منذ حوالي مئة سنة قبل انبعاث نور الإسلام بقيادة قُصَي أحد أجداد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أسس دار الندوة التي هي بمثابة مجلس المدينة، والمكان الذي تعقد فيه الاجتماعات للتباحث في الأمور العامة والخاصة التي تهم القبيلة دينياً ودنياً، والتشاور بين وجوه مكة في قضايا الحرب والسلم، وبحث الشؤون السياسية والاقتصادية، وكان لتلك القبيلة السيادة الروحية والسياسية والاقتصادية في قلب جزيرة العرب، خاصة ولها سدانة الكعبة، وكانت إلى ذلك فرعين: قريش "البطاح" التي تسكن قلب مكة، وقريش "الظواهر" التي تقطن الضواحي - وتضم بهما بطون أمية ونوفل وزهرة ومخزوم وأسد وجمح وسهم وهاشم وتيم وعدي - وهي بذلك تؤلف أرستقراطية المدينة، وتهيمن على مختلف الأنشطة اقتصادياً واجتماعياً في أواسط بلاد العرب غربها، ناهيك عما كان لها من تجارة واسعة مع البلاد المجاورة استدعت عقد اتفاقات مع رؤسائها، إذ كانت القوافل التجارية منظمة، وتسير بين مكة وبلاد الشام واليمن، متبعة طريق التجارة الرئيسي المار بمكة. وأكسبت قريش - بفضل تعظيم العرب الكعبة وحجمهم إليها - فوائد اقتصادية، ونفوذاً روحياً وسياسياً بين القبائل.

4. الكعبة المشرفة والحجر الأسود وبئر زمزم

كان لقريش رموز قدسية ثلاثة بقيت في الإسلام، وهي الكعبة المشرفة التي يحج إليها العرب، وتضم الحجر الأسود، وإلى جانبها بئر زمزم. ويتحدث المفكر الإنكليزي "توماس كارليل" عن رموزها الدينية والقدسية بقوله: ((والحجر الأسود كان من أهم معبودات العرب ولا يزال للآن بمكة في البناء المسمى "الكعبة")، وقد ذكر المؤرخ الروماني "سيسلاس" الكعبة فقال: ((إنها كانت في مدته أشرف معابد العالم طراً وأقدمها، وذلك قبل الميلاد بخميس عاماً))، وقال المؤرخ "سلفستر دي ساسي": ((إن الحجر الأسود ربما كان من رجوم السماوات، فإذا صح ذلك فلا بد أن إنساناً قد بصر به ساقطاً من الجو، والحجر موجود الآن في جانب بئر "زمزم" والكعبة مبنية فوقهما، والبئر - كما تعلمون - منظرٌ حيثما كان سارٌّ ومفرح، ينبجس من الحجر الأصم كالحياة من الموت)).

5. مكة ومكانتها في جزيرة العرب

إن مكة كانت قبلة العرب، لأن جوانحها تضم الرموز القدسية للعرب، بحكم موقعها التجاري الخطير، ولذا سرعان ما تطورت وغدت الحاضرة العربية الأولى في جزيرة العرب.

يقول توماس كارليل (ص: 63-64) : ((وكانت الكعبة لقريش في عهد محمد صلى اهلوه عليه وسلم، وأسرته من قبيلة قريش، وكان سائر الأمة مبدداً في أنحاء تلك الرمال قبائل تفصلها بين الواحدة والأخرى البيد والقفار، وعلى كل قبيلة أمير أو أمراء، وربما كان الأمير راعياً أو ناقل أمتعة، ويكون في الغالب غازياً. وكانت الحرب لا تخمد بين بعض هذه القبائل وبعضها الآخر. ولم يك يؤلف بينهم حلف علني إلا التقائهم بالكعبة، حيث كان يجمعهم على اختلاف وثنياتهم مذهب واحد، وهي رابطة الدم واللغة))³.

6. لغتنا العربية البنت الشرعية للهجة قريش

لم تقتصر معالم سيادة قريش على الجانبين الاجتماعي والاقتصادي وحسب، بل كان للهجة قريش سيادتها في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية. وما اللغة العربية الفصحى، إلا البنت الشرعية للهجة قريش التي نزل بها القرآن الكريم، وكانت الأداة "اللغوية" التي وحدت أبناء الجزيرة العربية وأوصلت رسالة الإسلام إلى مختلف شعوب الأرض.

نهاية المحاضرة

³ توماس كارليل كتاب الأبطال ص: 63-64